أرشيف الامتيازات الاقتصادية ودوره في كتابة تاريخ الجزائر العثمانية
(الدفاتر اليومية للشركة الملكية الإفريقية أنموذجا)

د . لعريبي إسمهان

جامعة وهران01

ملخص الموضوع

يحظى تاريخ الجزائر العثمانية باهتمام واضح في الكتابات التاريخية الوطنية والعالمية، ومن بين المواضيع التي أثيرت في دراسة تاريخها تلك الامتيازات الفرنسية بالشرق الجزائري التي تعتبر عاملا مهما في تطبيق معاهدات السلم والتعاون المبرمة بين الجانب الجزائري بعد التحاقه بالدولة العثمانية، والجانب الفرنسي، وبتطور الوضع انتقل التعامل بهذه الامتيازات إلى معاهدات مبرمة، وكانت الشركة الإفريقية الملكية إحدى المؤسسات التي عملت على عقد الاتفاقات الخاصة بهذا الموضوع، نحاول من خلال هذا الموضوع تحديد شروطها وضوابطها وقواعدها، على وفق الوثائق الأرشيفية الثابتة.

The economic privileges archives and its role in writing the Ottoman Algeria's history
(The daily record books of the royal African Company model)

Dr. Laribi Ismahan - University of Oran1

Abstract

The Ottoman Algeria history has an obvious interest in national and global historical writings, Among the topics raised in the study of its history, those French privileges in the Algerian East , Which is considered as an important factor in the application of peace and cooperation Conventions signed between the Algerian side after joining the Ottoman Empire , and the French side . And by the evolution of the situation; dealing with these privileges moved to a signed conventions . The royal African Company was one from the companies that worked on contracting agreements concerning this subject . And through this subject we try to determine the conditions , disciplines and the rules, according to the constant archival documents.

تمهيد:

يعود تاريخ الامتيازات الفرنسية في الشرق الجزائري إلى القرن 16م بعد التحاق الجزائر بالدولة العثمانية، والتي أصبحت بموجبها ملزمة بتطبيق معاهدات السلم والتعاون التي أبرمتها هذه الأخيرة مع فرنسا. وقد تطور الوضع بعد ذلك، فأصبحت تلك المعاهدات تبرم مباشرة مع دايات الجزائر والتي تم بناء عليها التداول على استغلال الامتيازات من طرف عدد من الشركات والأشخاص. كانت آخرها وأهمها الشركة الملكية الإفريقية (1741-1794).

التعريف بالشركة الملكية الإفريقية:

أنشئت الشركة الملكية الإفريقية في 22 فبراير 1741 بظهير ملكي صدر في الشهر نفسه، جاء في مقدمته:" لقد أردنا أن ننمي تجارتنا في إفريقية، في سبيل أن نزيد من فعالية الامتيازات لصالح رعايانا، لذلك قررنا منح الشركة الجديدة كل الوسائل لتفعيل هذه

التجارة...إما بتوفير الأموال اللازمة لذلك، أو بتقديم الهبات الخاصة لها،وإما بتوفير الحماية لها،ومنحها مختلف الصلاحيات والامتيازات..."[1].

وقد تأسست الشركة برأسمال يبلغ 1.200.000 جنيه، موزعة على 1200 سهم، ثمن السهم الواحد 1000 جنيه، وقد ساهمت الغرفة التجارية بمرسيليا [2] بربع رأسمال الشركة، حيث أقر ملك فرنسا منحها الحق في شراء 300 سهم من مجموع أسهم الشركة[3].

يعود السبب في هذه المكانة التي حضيت بها الغرفة التجارية في تأسيس الشركة؛ إلى الدور الذي كانت تلعبه في الحياة الاقتصادية في مرسيليا عموما. حيث أخذت على عاتقها جميع القضايا التجارية في المشرق وأصبحت المشرفة على تجارة مرسيليا في حوض المتوسط. وكان من بين جهودها أيضا سعيها لتلافي الفشل الذي منيت به الشركات المتعاقبة على استغلال الامتيازات؛ لذلك فقد ساهمت في تأسيس الشركة الملكية الإفريقية، حتى تتسنى لها المشاركة في الإشراف على تسييرها عن قرب بمنتهى الدقة والصرامة[4].

وحصلت هذه الأخيرة من ملك فرنسا على حق احتكار النشاطات المتمثلة في استغلال الامتيازات في الشرق الجزائري، وهذا ما يظهره الأمر الذي أصدره هذا الأخير بتاريخ 2 أوت 1741 والذي يقضي" بمنع جميع التجار الفرنسيين أصحاب المراكب من ممارسة التجارة في موانئ إفريقيا بدون إذن من المسيرين للشركة" [5]. أما بالنسبة للمدة الزمنية للامتياز الممنوح لهذه الأخيرة من طرف الملك الفرنسي فهي مؤبدة[6].

أمّا من جانب الجزائر فقد كان استلامها للامتيازات رسميا ببيان بايلكي أصدره إبراهيم باشا جاء فيه ما يلي:"... في إطار رغبتنا في تطوير التجارة في سنجق [7] بلد

العناب، والسعي إلى رفاهية شعبنا نمنح للشركة الملكية الإفريقية كل الوسائل الضرورية للازدهار الاقتصادي إما بمنحها الأراضي أو الأملاك (اللازمة لإقامة رعاياها وتسهيل أعمالهم) ... وإما عن طريق ضمان الملجأ والحماية لها. وهي بذلك ستكون الوحيدة التي ستتمتع بامتياز الصيد والتجارة[8].

في سنة 1789، إندلعت الثورة الفرنسية التي انتهت بإعلان الجمهورية الفرنسية وإلغاء النظام الملكي في سنة 1791.وقد كان من أهم قراراتها إلغاء الامتيازات التجارية، وإلغاء جميع الشركات التي كانت تملك حصرية التمتع بها[9].

وفي 21 جويلية 1791 صدر قرار يمنح لجميع الفرنسيين حق استغلال الامتيازات بكل حرية[10] ـــ باعتبار هذه الأخيرة حقا للأمة الفرنسية وليست حقا لأشخاص بعينهم ـــ مما انعكس سلبا على أعمال الشركة الملكية. وانتهى الأمر بحلها تعويضها بوكالة تعمل لصالح الدولة تدعى الوكالة الإفريقية كان ذلك في 1794[11].

مؤسسات الشركة الملكية الإفريقية في الشرق الجزائري:

البستيون الفرنسي في القالة:

يعتبر البستيون الفرنسي في القالة أهم مؤسسات الشركة الملكية من حيث حجمه والمرافق المكونة له، أو عدد الموظفين من الإداريين والصيادين الذين يأويهم. ويعتبر علاوة على ذلك المقر الإداري الرئيسي للشركة ، والمؤسسات الأخرى التي تعد ملحقات له.

وقد شيد على كامل تراب شبه جزيرة القالة وكان على رأس هذه المؤسسة مدير ينصبه مقر الشركة في مرسيليا ويعتبر مديرا عاما للامتيازات *Ddirecteur général des concessions*. ويضطلع بوظيفة الإشراف والتسيير للبستيون ولجميع مؤسسات الشركة في مناطق الامتيازات[12].

كما كان عليه مراقبة موظفي الشركة وتسجيل كل الأعمال اليومية والنشاطات التي تقوم بها المؤسسة في دفتر يومي يبعث بنسخة منه إلى مقر الشركة في مرسيليا.

ب وكالتي عنابة والقل:

كانت للشركة الملكية مؤسستان في كل من عنابة والقل. وقد كان على رأس موظفي وكالة عنابة الذين لم يكن عددهم يتجاوز الأربعة أو الستة [13]؛ الوكيل *Agent* الذي كان دوره تجاريا محضا، حيث كان عليه أن يبذل كل ما في وسعه لإنجاح النشاط التجاري وزيادة الأرباح، إضافة إلى إشرافه على إنجاح عملية شحن السلع التي تحدث هناك. كما عليه أيضا أن يسعى لشراء أكبر كمية من السلع من سكان المنطقة؛ وأن يعلم مدير البستيون في القالة بكل ما يحدث في الوكالة ويأخذ رأيه فيما يخص مصالح الشركة. إضافة إلى مراقبة عمل الموظفين الذين يعملون تحت أوامره، وتدوين الأعمال التي تحدث في الوكالة كما هي وبصفة يومية حتى يتم الاطلاع عليها من طرف مقر الشركة بمرسيليا، ومدير البستيون في القالة؛ حيث يقوم بإرسال تقرير عن تلك الأعمال إليهما مرة في الشهر على الأقل. كما كان ينوب عن مدير البستيون في حال غيابه[14].

والشيء نفسه يقال عن وكالة القل الذي كانت مهمته تجارية على غرار زميله في عنابة كما كان عليه هو الآخر تسجيل كل ما يحدث في وكالته في دفتر يومي ترسل نسخة عنه إلى مقر الشركة في مرسيليا، ونسخة أخرى إلى مدير البستيون [15].

ج- وكيل الشركة الملكية في مدينة الجزائر:

كان للشركة الملكية الإفريقية وكيل في مدينة الجزائر، و لم تكن وظيفته إدارة مؤسسات الشركة في مناطق الامتيازات، ولا الاهتمام بالعمليات التجارية؛ بل كان دوره يتركز في تمثيل الشركة أمام الدايات. وقد تمثلت مهمته الأساسية في رعاية مصالح

الشركة[16]. ومن بين التعليمات التي وجهت إلى هذا الوكيل كما توضحه إحدى الوثائق؛ دفع الضرائب الخاصة بالشركة للداي في الجزائر، كما كان عليه هو الآخر أن يرسل نسخة من التقارير اليومية التي يدونها إلى مقر الشركة كل ثلاثة أشهر..."[17].

4- أرشيف الامتيازات الاقتصادية الفرنسية وأهميته:

لا يختلف الباحثون اليوم عن كون الامتيازات في ظاهرها أداة لتحقيق مصالح اقتصادية ممثلة في توفير مواد أولية ضرورية لفرنسا وبأسعار رخيصة؛ إلا أن الحقيقة غير ذلك. إذ استطاعت فرنسا بفضل التواجد الدائم لرعاياها بالجزائر بغرض التجارة يوفر لها أداة فعالة للجوسسة وتنفيذ مخططها الاستعماري الذي ظلت تصبو إليه سنين طويلة.

ومن أجل تحقيق تلك الغاية سخر هؤلاء الرعايا الذين كانت تبعث بهم في صورة مندوبين عنها من أجل استغلال الامتيازات كل ما في وسعهم في سبيل ذلك بدء من كتابة التقارير إلى غاية المحاولات المسلحة الفعلية[18].

فجاء الأرشيف الذي خلفته لنا القرون الثلاثة من استغلال تلك الامتيازات منوعا بين تقارير ومراسلات، خرائط، ومذكرات[19]...إلخ. مما سمح لنا من اكتشاف خبايا لم نكن لنعرفها؛ في ظل النقص الكبير الذي يعاني منه تاريخنا في تلك الحقبة. إلا أن الشيء الملاحظ هو قلة حجم هذا الأرشيف فيما يخص القرنين السادس عشر والسابع عشر مقارنة بالقرنين المواليين[20]

والسبب في ذلك يرجع إلى الاضطراب الذي ظل يطبع العلاقات الفرنسية الجزائرية، إضافة إلى الاضطراب في أعمال الشركات والأشخاص المستغلين للامتيازات أنفسهم؛ وذلك طوال القرنين السادس والسابع عشر. عكس القرن الموالي الذي ميزه الاستقرار السياسي سواء بين البلدين، أو الاستقرار الداخلي في البلدين نفسيهما. والذي

انعكس بالإيجاب على أعمال الشركة الملكية الإفريقية التي تولت استغلال الامتيازات طوال النصف الثاني من القرن 18. بحيث اعتبر عهدها أطول عهد مقارنة بسابقيها.

5 ـ الدفاتر اليومية للشركة الملكية الإفريقية:

ذكرنا فيما سبق بأنه كان على موظفي الشركة الملكية الإفريقية في مؤسساتها الثلاثة في كل من القالة،

عنابة والقل، إضافة إلى وكيلها في الجزائر تسجيل كل يرد إلى علم هؤلاء من أحداث تتصل بنشاط مؤسساتهم. بشكل يومي كما كانوا مطالبين بإرسال نسخ من هذه الدفاتر إلى مقر الشركة بمرسيليا.

حاليا تلك النسخ التي كانت ترسل إلى مرسيليا هي لحسن الحظ محفوظة ضمن الأرشيف الخاص بالشركة المذكورة تحت رمز L3 في الغرفة التجارية والصناعية للمدينة *(CCI Marseille- provence)* ويضم هذا الأرشيف إلى جانب هذه الدفاتر مراسلات بين مدراء الشركة في مرسيليا وكبار موظفي وأعيان السلطة العثمانية في الجزائر. إضافة إلى دفاتر خاصة بالحسابات، ومذكرات، تقارير إلخ...

وقد اخترت خلال إعدادي لهذه المقالة خمسة دفاتر يومية ومن كل دفتر اخترت شهرا واحدا وهي كالتالي:

- Journal de Bone ،mois de Janvier 1783, L III/1217. Journal de La Calle , mois d'Août 1759, L III/1052.

Journal de la Calle، mois de Novembre 1757, L III/1050.
Journal de Collo mois d'Août 1780, L III/1292.
Journal de Collo mois de Décembre 1753, L III/ 1287.

6 ـ المواضيع الواردة في الدفاتر:

كان الوكيل يسجل اليوم والشهر والسنة قبل الشروع في سرد الأحداث مثال: وردت العبارة التالية في دفتر وكالة القل : *journal de collo*

"**يوميات القل**: وهي خاصة بالأخبار التي وصلت إلى علمي في وكالة القل يوم 15 ديسمبر 1753"[21].

ما يلاحظ أيضا أن هؤلاء الوكلاء كانوا يسردون جميع الأحداث مهما كانت صغيرة، لدرجة ذكرهم لحالة الطقس إذا كان رديئا أم صحوا. وإذا مر يوم ليس فيه أحداث يكتبون أمام التاريخ: "عبارة لا جديد يذكر".

إن تصفحنا لهذه الدفاتر يجعلنا نعايش الأحداث كما هي ويجعلنا نملأ الفراغات بين المعلومات التي وصلتنا عن تلك الحقبة ونصحح الخاطئ منها ، ومن ثم نربط الأحداث ببعضها.

أ ــ قضايا متعلقة بنشاط الشركة :

وعلاقتها بمقرها الرئيسي في مرسيليا وحركة السفن المتجهة من، ونحو مرسيليا. وتفاصيل دقيقة عن الشحنات بالوزن وأسماء السفن وأسماء ربابنتها إلخ. مثال: " لقد جاء القبطان كولي ***Coulet*** وطلب مني ستة أقفزة لإضافتها إلى الـــ 25 قفيز ثم أرسلتها إلى القبطان حتى يتمم الشحنة. وبهذا نكون قد أتممنا شحن السفن الأربعة من نوع طرطانة في مدة عشرين يوما. ونحن الآن ننتظر سفينة الملك ***La Badine*** حتى تقلع السفن"[22].

في صدد الحديث عن نشاطات الشركة حملت هذه الدفاتر معلومات دقيقة عن المعاملات التجارية التي كانت تتم بين الوكالات وبين أهالي مناطق الامتيازات. إضافة إلى الضرائب التي كان على الوكالات دفعها لمجموعة من المسؤولية الجزائريين في تلك المناطق. مثل الخبر الذي جاء في دفتر القل ضمن أحداث 7 أوت 1780 عن الشمع الذي

اشتراه الوكيل من شخص جيجلي ثم يتحدث عن مجموعة من الضرائب التي يصطلح على تسميتها بالعوايد التي دفعها الوكيل إلى كل من القايد و كاتب الباي والترجمان[23].

في سياق آخر متعلق برصد حركة السفن الخاصة بالشركة قضية تأخرها وما ينجر عنه من مشاكل ومدي تأثير ذلك على الأهالي الذين ينتظرونها بشغف حتى يتسنى لهم بيع سلعهم قبل فسادها. مثل العبارات التالية :" إن تأخر السفينة الموجهة إلى هذه الوكالة يتسبب في تعطيل تجارتنا...والتجار هنا متخوفون من تأخرها لمدة أطول ...وأنا لا أزال أطالبهم بالتحلي بالصبر"[24]، وجاء في موضع آخر: "لا يزال التجار هنا في القل يسألونني عن موعد قدوم السفينة التي ستشحن الجلود ..."[25].

ب - أخبار خاصة بالتجارة الخارجية وحركة السفن الأجنبية: التي تأتي لشحن السلع مع ذكر جنسياتها وذكر تفاصيل عنها إذا كانت مرفوقة بقوات جزائرية، وتتبع أخبارها إذا كانت غادرت الميناء أم حدثت عاصفة منعتها من ذلك وهي تفاصيل في غاية الدقة تجعلنا نعايش الأحداث ساعة بساعة.

مثل الخبر التالي الذي سجل ضمن أحداث 15 ديسمبر 1753" لقد حضرت ثلاث سفن إنجليزية محملة بالقمح بأمر من الداي مرفوقة بشبك جزائري من سطورة. ولكن سوء الأحوال الجوية جعلها تفترق فأرست إحداها في بونة والأخرى في القل والأخرى في طبرقة"[26].

ثم يتتبع أخبار هذه السفن حتى بعد وصولها إلى الجزائر ويقول أنه: "اكتُشف بأن إحدى تلك المراكب كانت تخفي في حمولتها الشمع، والثانية كانت تخفي الشعير بدل القمح فتم عقابهما بالتحفظ على حمولتيهما. الملاحظ أنه كان يبد ي سعادته وهو يعلق

على ذلك قائلا: " أرجو أن يتم إبعاد هذه الدولة منذ اليوم ولا يعود يسمح لها بالشحن"[27].

يلاحظ أهمية هذا النوع من الأخبار بالنسبة للشركة الملكية ومن وراءها فرنسا في علاقتها مع الجزائر.لذلك نلاحظ التركيز الكبير على أخبار السفن الأجنبية التي كانت تعتبرها فرنسا منافسة لها في التجارة مع الجزائر. ونفهم ذلك أكثر عندما نعرف بأن فرنسا كانت تفرض احتكارا تجاريا على الموانئ الشرقية، وتستعمل الحيل والدسائس في سبيل ذلك. حيث ظلت الشركة الملكية تمارس نوعا من المراوغة في جميع الموانئ التي لم تكن للشركة فيها مؤسسات، وظلت تبعث بسفنها من حين لآخر لزيارة تلك الموانئ والشحن منها مثل سطورة، تكوش، جيجل، بجاية[28] حتى تثبت بأنها تستغلها حتى تمنع التعامل مع غيرها في الموانئ المذكورة.

أما بالنسبة لميناء عنابة فإن الشركة كانت تعتمد أسلوب المؤامرات والتأثير على الداي حتى يصدر أوامره بإعطاء الأولوية للشركة عن باقي الأمم الأوربية؛ وفي بعض الأحيان الامتناع عن البيع لها ومنح كل السلع للشركة.

وقد أشار إلى ذلك كاثكارت قنصل أمريكا سنة 1791 في مذكراته ـــ من خلال ما لمسه بنفسه [29] :"... لقد كانت فرنسا منذ مدة طويلة تحتكر التجارة مع الجزائر، وتمكنت الشركة الإفريقية والغرفة التجارية ووكلاء الحكومة الفرنسية بواسطة المناورات والمؤامرات من إحباط مساعي عدد من السفراء... للتفاوض مع الجزائر، فقد كانت غيرتها شديدة ورغبتها قوية في المحافظة على الامتيازات التي تتمتع بها، وعلى الاحتكار الذي تراه غير قابل للتجزئة"[30].

ج- أخبار متعلقة بالأحوال الاجتماعية لسكان مناطق الامتيازات:

مثل الأخبار عن أحوال مدينة القل وعلاقة أهلها بسكان الجبال من القبائل الممتنعة التي لم تكن تخضع للسلطة المركزية. وهي علاقات طالما شابها التوتر باعتراف من الوكيل هوغ ***HUGUE*** في مذكرة له عرف فيها بمدينة القل وسلمها للقسيس بواري أيام زيارته له والذي أوردها في كتابه"رسائل من الجزائر"[31].

يقول وكيل القل ضمن أحداث يوم 23 ديسمبر 1753 وهو يشتكي من تزايد حالات السرقة في المدينة أكثر من المعتاد :"لا حديث للناس في هذا الشتاء سوى عن السرقة. للمرة الثالثة يقوم اللصوص بثقب البستان حتى يتسنى لهم الدخول بسهولة إلى منازل سكان المدينة.... ولكنهم لم يستطيعوا الدخول إلى وكالتنا لأننا نحرسها جيدا كل ليلة"[32].

لا زلنا دائما مع القل وفي نفس الصدد نوع آخر من الأخبار له علاقة بعادات وتقاليد أهل المنطقة الذي يتمثل في الأعياد والمواسم التي كان يحتفل بها هؤلاء.

يقول الوكيل ضمن أحداث 15 أوت 1780: " لقد حصلت على بعض الجلود الطازجة بمناسبة موسم شعبان الذي بدأ اليوم" [33].هذا دليل على عادة القليين ذبح الأبقار خلال احتفالاتهم بهذه المناسبة وإقامتهم للولائم.

الشيء نفسه بالنسبة لاحتفالات أخرى ترتبط بتعظيم شهر رمضان حيث أطلق عليه الوكيل "موسم رمضان"وأشار بأن هذه العادات ترتبط باليوم الأول والأخير من رمضان حيث يقول" ضمن أحداث 1 سبتمبر:" اليوم كان الأول من رمضان حيث أن الاحتفالات به سيوفر لنا الكثير من الجلود الطازجة. ومع نهاية رمضان أيضا أنا متفائل بأننا سنشتري الكثير منها[34].

د ـ أخبار عن الأوضاع الصحية والمعاشية :

من الأمثلة على ذلك ما ورد الدفتر اليومي للقل ضمن أحداث 16 أوت 1780. يقول الوكيل:" هناك إشاعات ظهرت في أوساط الأهالي عن عدوى ستصيب الأبقار السنة القادمة بسبب ارتفاع الحرارة خلال هذا الشهر"[35].

في صدد الحديث عن الأوبئة نذكر أخبار الطاعون الذي كان السمة الغالبة للأوضاع الصحية في ذلك العصر. حيث جاء في الدفتر اليومي للقالة ضمن أحداث 4 أوت 1759 حديث عن الطاعون الذي كان يخيم على قسنطينة وعنابة[36]. وبنفس الدقة يشير في موضع آخر إلى أن الطاعون يحصد الأرواح في قبيلة أولاد بوعزيز التي تقع بنواحي القالة[37].

هـ ـ أخبار عن حركة القرصنة التي كانت تتعرض لها السواحل الجزائرية:

طالما كانت المدن الساحلية تتعرض لهجمات القراصنة الذين كانوا يختطفون الأشخاص والممتلكات، وقد كان يحدث أن يقوم القراصنة المالطيون على سبيل المثال ـــ وهم ألد أعداء المسلمين ـــ باختطاف الجزائريين المتواجدين بالقرب من الشواطئ؛ حيث كان هؤلاء الفرسان المسلحون يتجولون في عرض البحر تحمل سفنهم رايات بيضاء؛ وبذلك تسهل عليهم ممارسة القرصنة من حين لآخر على شواطئ عنابة والقالة[38]

جاء في الدفتر اليومي للقل بتاريخ: 18 أوت 1780 هناك رايس قدم إلى القل على متن صندل وأكد لي أن قرصانا ماهونيا كان يتجول في نواحي بونة"[39]

و ـ أخبار عن نشاطات البايات وتصرفاتهم:

مثال ذلك تعامل الباي مع القبائل الممتنعة. حيث يذكر وكيل القل ضمن أحداث 25 ديسمبر 1753 : بأن الباي (يقصد صالح باي) قام بجولة في المنطقة دامت ثلاثة أيام متتابعة بلياليها وهو على ظهر حصانه لم يضع قدمه على الأرض حتى يتوصل إلى هدفه هو إخضاع إحدى قبائل المنطقة. ثم يذكر تفاصيل دقيقة عن نتائج الحملة ومقدار الغنائم

التي حصلها الباي وهي 40 خروفا، 400 جملا و200 رأسا من الأبقار والثيران إلخ... ثم احتفل بهذه المناسبة في قسنطينة[40] .

في نفس الصدد جاء في دفتر بونة أخبار عن تحركات الباي صالح دائما وحملاته مثل ما يذكره وكيل الشركة في هذه الأخيرة بتاريخ 9 جانفي 1783 " لقد تلقيت رسالة هذا المساء من باي قسنطينة الذي هو الآن متواجد في محلته بنواحي بلاد الجريد في تونس بالقرب من الآثار القديمة لمدينة ماسينيسا...."[41]

ثم يتواصل الحديث عن هذا الموضوع ضمن أحداث 13 جانفي :" لقد علمنا اليوم بأن باي قسنطينة لا يزال في الأراضي التونسية، وأنه أرسل إلى قسنطينة من يجلب له 300 قنطار من البشماط (نوع من الخبز الخاص بغذاء الجنود) من أجل قواته هناك أقوال كثيرة هنا تفيد بأنه يريد الاستيلاء على بلاد الجريد الموجودة بين الصحراء وتونس"[42].

ثم يتواصل الحديث عن هذ الموضوع ضمن أحداث 22 جانفي : إن الباي يتواجد على بعد ثلاثة أيام من قسنطينة. ويقال بأنه سيعود مع محلته في أواخر الشهر المقبل[43]

في صدد الحديث عن صالح باي أشارت هذه الدفاتر إلى الإصلاحات التي قام بها هذا الأخير والتي تحدثت عن المصادر والمراجع المختلفة التي ما فتئت تصور لنا شخصية صالح باي والاسقرار والرخاء الذي شهده عصره والذي قابله امتعاض الفرنسيين منه ، حيث جاء في أحداث 13 جانفي 1783: " إن الأتراك اليوم قد فتحوا أعينهم وعرفوا جيدا قيمة التجارة وقيمة الأرباح التي يجنيها الباي منها ويقول لنا هذا الأخير لماذا أحرم الأهالي الذين آخذ منهم ضرائب من أن يبيعوا سلعهم أين يجدون أرباحا أكثر. وأجبرهم على بيعها لكم وبأسعار جد زهيدة. إن هذا الباي بتصرفاته هذه يود لو لا يعود هناك وجود للشركة ولاذكر لها"[44]

مثال آخر على تشدد الباي صالح في التجارة مع الفرنسيين يقول وكيل الشركة في عنابة ضمن أحداث 25 جانفي 1783:" إن الباي يشدد دائما على المركانتي حتى لا يسمح لنا بشحن ما يفوق الكميات المتفق عليها معه"[45]. ثم يشير في معرض حديثه عن التلاعب الذي كانت الشركة تقوم به بالتعاون مع المركانتي دون علم الباي من أجل تهريب كميات أكبر[46].

هناك أخبار عن علاقة البايات بموظفيهم مثل الخبر التالي عن علاقة الباي أحمد المدعو القلي (1756 ـــ 1771) بخليفته حيث يقول وكيل الشركة في الدفتر اليومي للقالة :" لقد أخبرني رسول الشيخ عبد الله (شيخ المعزولة) أن الباي قام بتقييد خليفته فور عودته من المعزولة (الذي كان متواجدا هناك في مهمة لجمع الضرائب) وأنه كان سيقوم بخنقه لولا تدخل العساكر واعتراضهم على ذلك. وقد أظهر الباي غضبه منه وأنه لم يكن ليتوانى عن فعل ذلك لو أنه تلقى الأوامر من الداي"[47].

في هذا الصدد دائما يتحدث الوكيل في موضع آخر بأن الباي صمم على رأيه وقام بإعدام الخليفة حيث يقول ضمن أحداث 29 أوت 1759:"وصلني خبر بأن الباي قد وضع الخليفة في السلاسل وخنقه في نفس اليوم. وقد يلقى خزنداره وكاتبه الثالث المرتبطين بهذا الخليفة نفس المصير"[48]

ز ـ أخبار عن شيوخ القبائل:

خير مثال على ذلك شيخ منطقة المعزولة في القالة الذي كان بحكم وظيفته الراعي الأول للمصالح التجارية التي كانت تتم بين البستيون وقبائل المنطقة.

لقد ورد في الدفتر اليومي للبستيون في القالة تفاصيل عن هذا الشيخ وعلاقته بإبنيه علي باي والشيخ الباهي، حيث يقول مدير البستيون :" لقد فوجئت هذا المساء عندما رأيت 20 فارسا قدموا إلي على رأسهم علي باي إبن الشيخ عبد الله. سألته عن سبب

الزيارة فقال لي بأنه تشاجر مع أبيه وقرر مغادرة البيت متوجها إلى الباي حتى ينصفه ضد أبيه. لكنه غير رأيه ولجأ إلي لأحل مشكلته[49]

ثم يذكر ضمن أحداث 29 أوت 1759 معلومات تخص علاقة ابني شيخ المعزولة ببعضهما. حيث يصرح هذا الأخير لمدير البستيون عندما زاره ليرد ابنه إلى البيت في حوار دار بينهما بأنه خائف من أن يعادي ابناه أحدهما الآخر وأن يشكلا حزبين و يتقاتلا على المشيخة من بع ده وأنه كان متأثرا لذلك لدرجة امتلاء عينيه بالدموع وهو يتحدث عن ذلك[50].

ح- أخبار طريفة:

جاء في معرض الحديث عن صالح باي وتحركاته عندما كان مسافرا مع المحلة ما يذكره وكيل الشركة في عنابة عن أخبار وصلته عن طريق أحد الطبرقيين الذي كان برفقة الباي في أثناء تواجده بين أطلال مدينة ماسينيسا حيث كلفه بالبحث في هذه الأطلال ومنحه 4 عبيد لمساعدته في تنفيذ المهمة. وأنه وجد بعض النقود القديمة في مدينة قديمة أخرى لم يذكر اسمها [51] في هذا الكلام دليل على اهتمام الباي صالح بالآثار القديمة.

الهوامش

1 Abel Boutin, Anciennes relations commerciales et diplomatiques de la France avec la Barbarie (1515-1830). Paris, 1902, pp. 403, 410, 498.

2 Edit royale portant, établissement d'une compagnie royale d' Afrique, donné à Versailles au mois de Février 1741. Registré en parlement, In Recueil des édits, règlements, traités et mémoires depuis 1741, L III/5., Archives de CCI/ Marseille, (Introduction).

3 تأسست الغرفة التجارية رسميا في 13 نوفمبر 1650، ثم حلت بقرار من مجلس مدينة مرسيليا في 29 أكتوبر 1659 ليعاد تنصيبها في 2 مارس 1660 بعد اعتلاء الملك لويس 14 عرش فرنسا. ومنذ ذلك الحين استقر وجود الغرفة التجارية بمرسيليا إلى غاية اندلاع الثورة الفرنسية عام1789 التي قررت حلها هي وجميع الغرف التجارية في فرنسا.

Anonyme، La chambre de commerce de Marseille (1599-1949)، Le passé ،le présent، l'avenir ،Préface André Cordesse، George Lang، Paris - Marcel Andry agent، Marseille،1949، p 15.

4 Edit Royale...، Op.Cit، Art 3.

5 Edit royale...،Op.Cit،. Art 17.

6 أمر الملك مأخوذ من الأرشيف الوطني بباريس، أورده العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري (1792-1830) ، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 2، 1984، ص:197.

7 Edit royale..., Op.Cit Art 1.

8 السنجق هو الراية وهو في نفس الوقت مصطلح إداري عثماني، يعني المقاطعة أو الإقليم .

Charles Feraud, Histoire de La calle, et Documents pour servir à l'histoire des anciennes concessions françaises d'Afrique, L'association ouvrière, V. Villaud et Cie , 1877, p. 620

9 Charles Roux, France et Afrique du nord avant 1830, Librairie Felix Alcan, Paris, 1933, p 324.

10 Baron Baude, L'Algérie, Librairie Arthus Bertrand, Paris, 1841, T1, ., p.206.

11 A. Boutin, Op.Cit., p.458.

12 ibid , p.459.

13 Paul Masson, Histoire des établissements et du commerce français dans l'Afrique barbaresque(1560-1793), Librairie Hachette et Cie, Paris 1903., p. 423.

14 ذكر القسيس بواري أن عددهم كان أربعة أو خمسة علاوة على الوكيل *L'Abbé Poiret, Lettres de Barbarie(1785-1786), Le Sycomore, Paris, 2ème édition, 1980., p.150. 15 L'Abbé Poiret, Lettres de Barbarie..., Op.Cit., p.138.*

16 Obligations du Gouverneur de la Calle, des Agents de Bone..., 1767, Op.Cit., pp. 361, 364.

17 Paul Masson, Op. Cit., p.434.

18 حول موضوع المحاولات الفعلية أنظر مقالتنا البستيون الفرنسي بالقالة من خلال مراسلات محلية مخطوطة، مجلة عصور (جامعة وهران)، عدد17 ، جوان/ديسمبر 2011، 35 ـــ 47

19 من الأمثلة على ذلك (نذكر كتاب سنسون نابلون الجزائر في خرائط كثيرة (L'Algerie en *plusieurs cartes. ,savary de brèves ,Relations des voyages a Tunis et a Alger ,*

20 Ch Féraud, histoire de La Calle, op.cit.p74.

21 Journal de Collo mois de Décembre 1753, L III/ 1287

22 Journal de bone , 06/01/1783, L3/1217

23 Journal de Collo mois d'Août 1780, L III/1292

24 Idid, 21 aout.

25 Ibid, 25 aout.

26 Journal de collo , 15/12/1753 , op.cit.

27 Journal de collo, 15/12/1753, op.cit

28 Paul Masson, Histoire des établissements....,Op.Cit., p.418

29 وصل كاثكارت إلى الجزائر أسيرا سنة 1785، ثم عين للعمل في قصر الداي، لعب دورا هاما في التوسط بين الداي والسفير الأمريكي دونالدسون للوصول إلى صيغة نهائية لتوقيع معاهدة بين الطرفين كان ذلك في سنة 1795. في شهر ماي من سنة 1796 حرره الداي من الأسر، وعاد إلى وطنه أمريكا، قضى فيها سنتين، بعدها عين قنصلا عاما لأمريكا في كل من الجزائر وتونس و ليبيا؛ وذلك سنة 1798 وقد استمر في المنصب إلى غاية سنة 1801. مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية،1982، ص ص 194، 213، 258، 279.

30 المصدر نفسه، ص40.

31 Mémoire de Hugue, In L'Abbé Poiret, Lettres de Barbarie..., Op.Cit., p. 138.
32 Journal de collo, 23/12/1753, op. cit,
33 Journal de collo, 15/08/1780, op.cit.
34 Ibid, 01/09/1780.
35 Journal de collo, 16/08/1780, op.cit.
36 Journal de La Calle , mois d'Août 1759, L III/1052.
37 Journal de La Calle, 31/08/1759, op.cit.
38 Lettre de De Jonville au échevins et députés du commerce à Marseille, 03/09/1741, In De Grammont , Correspondances des consuls d'Alger (1690-1742), Adolphe Jourdan .Libraire-éditeur, Alger 1890, p 271.
39 Journal de collo, 18/08/1780, op.cit.
40 Journal de collo, 25/12/1753, op.cit.
41 Journal de bone, 09/01/1783, op.cit.
42 Journal de bone, 13/01/1783, op.cit.
43 Ibid, 22/01/1783.
44 Ibid, 13/01/1783
45 Ibid, 25/01/1783.
46 Ibid.
47 Journal de la calle, 24/08/1759, op.cit.
48 Ibid, 29/08/1759.
49 Ibid, 20/08/1759
50 Ibid, 29/08/1759
51 Journal de bone, 25/01/1783, op .cit.